القُـــــرْآنُ

وأثَرُهُ عَلى الإنْسَانِ

أ.أناهيد السميري

ألقي في معهد الشاطبية بالرحاب

يوم الأربعاء ١٣-٥-١٤٣٣هـ

عناصر الدرس:

- من النعم العظيمة فهم القرآن والإقبال عليه.
- خلقنا الله في الدنيا للاختبار.
- الدليل على ذلك.
- منهجنا في الاختبار هو القرآن.
- مطلوب منك الاجتهاد.
- معركة الاختبار مكانها قلبك.
- هذا القرآن لم يُنزله الله للتِّلاوة فقط، إنَّما التِّلاوة هي الوسيلة، والغاية الفهم.
- ذكرت نصوص تُشير إلى علاقتنا بالقرآن وأثر القرآن علينا.
- حياة قلوبنا بحياة كلمات القرآن في قلوبنا.
- طريق حياة القرآن في القلب:
  ١. حرِّر مشاعرك من أسرها (قلل مشاعرك)
  ٢. تدبّر القرآن بِخُطة
  ٣. تفكّر
- رأس المسألة معرفة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسأله سبحانه وتعالى بمنّه وكرمه أن يجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحوماً، وأن يجعل تفرُّقنا بعده تفرُّقاً معصوماً.

اللهم آمين.

نُناقِش هذا الموضوع المهم الذي لا تكفيه هذه الساعات، بل لا تكفيه الأيام! إذا تبيَّن لنا حقيقته، سنجد أنَّ العُمر كلَّه يجب أن يُفنى في هذه المفهوم. موضوعنا إن شاء الله في الكلام عن :

القرآن وأثره على الإنسان!

هذا القرآن الذي أَنعم به علينا المولى سبحانه وتعالى، كيف شكرنا هذه النِّعمة؟ كيف تعاملنا معها؟ هل شعرنا بها أنَّها نعمة؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1] ومِن النِّعم العظيمة التي يُزاد فيها الإنسان: فَهْم هذا القرآن والإقبال عليه. فعلى قدْر تعظيم العبد لهذا القرآن؛ على قدر الانتفاع، على قدر ما يكون روحاً حقاً لأهله.

إن شاء الله نُناقِش هذه المسألة في نقاط، نسأل الله عزَّ وجلَّ أن ينفعنا بها، وإن شاء الله تكون بداية لخير يستمرُّ حول هذا الموضوع المهم.

قبل أن أدخل في التفاصيل حول القرآن وأثره على الإنسان، لا بدَّ أن نُعيد ونكرِّر قضيَّة مهمَّة من المسَلَّمات، وهي:

علاقتنا بهذه الحياة: نحن من في هذه الحياة؟ لماذا وُجِدنا؟

من المعلوم أنَّ الله عزَّ وجلَّ أخبرنا أنَّه خلق الموت والحياة من أجل ماذا؟ ليبتليكم.

- الخلق كلُّهم في حال اختبار.

بمعنى أنَّنا كلّنا نشترك أنَّنا في قاعة اختبار عظيمة وهي الحياة! فأنت عبد مُختبر في حياتك كلها! وأكيد الذي يُختبَر، لا بدَّ له من منهج يَدرُسه في الاختبار.

- من الأدلَّة على أنَّنا في الحياة في حالة اختبار :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ماذا خلق؟ ﴿ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ من أجل ماذا؟ ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾[2].

---

[1] إبراهيم : ٧

[2] تبارك : ١-٢

إذن خُلق الموت والحياة من أجل البلاء. ويُقابل كلمة بلاء: (كلمة اختبار، كلمة فِتنة) هذه كلمات متكررة في القرآن، تدلُّك على أنَّ الخلق كلّهم يشتركون في أنَّهم في اختبار، ولا يمكن أن تدخل اختبار بدون منهج، وكل اختبار فيه أسئلة.

- ما هو المنهج؟ وما هي الأسئلة؟

المنهج الذي تدرسه من أجل أن تنجح في الاختبار: هو القرآن بالاتفاق، والله عز وجل يقول: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[1].

إذن أنت **مُختبر**، ومادة الاختبار التي ستدرسها هي: **القرآن**.

- أين هي الاختبارات؟

(المال، الأولاد، النَّفس،...) كل هذه الأقدار التي تجري عليك عبارة عن اختبارات. الله عزَّ وجلَّ قادر على أن يُعطيك ما تريد، لكنَّك أنت في اختبار، **و في الاختبارات لابدَّ من ثلاث مسائل:**

١. لا ينجح في الاختبار إلا من اجتهد في الدِّراسة واستعان بالله.

٢. أن الاختبارات غيبية (الاختبارات هي الأقدار التي تجري عليك).

فلما تأتيكِ ورقة الاختبارات في الدنيا لا يكون لديك عِلم بالأسئلة، فتفاجئك! قد تتوقعينها، لكن الأسئلة بالنسبة لك غيب.

٣. أنَّ المختبَر يُجيب في اختباره على قدر دِراسته، يعني كلما اجتهدت و كنت مُركِّزاً في الدراسة، كلما كانت إجاباتك أكثر اتقاناً.

إذن **وصفك** في الحياة أنَّك شخص داخل اختبار، **ومنهجك** القرآن، **والمطلوب** منك أن تجتهد وتستعين! والاستعانة هي ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[2].

نتيجتك على حسب جهدك في الدراسة والاستعانة.

- معركة الاختبار والكتابة، أين مكانها؟

قلبك.

يعني حِبرك الذي تكتب به الإجابة هو دم قلبك، إذن أنت ستُحفِّظ قلبك الإجابة حتى تُجيب، لكن تُحفِّظ لسانك الإجابة ويأتي الاختبار، ماذا سيحصل؟ ينقطع لسانك عن قلبك، ولا يجيب!.

مثلاً : الآن أنت تشعر أن أحداً سيأخذ منك رزقاً، أتاك هذا الاختبار. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((تُعرَضُ الفتنُ على القلوبِ كالحصيرِ عودًا عودًا فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها نُكِتَ فيهِ نُكتةٌ سَوداءُ وأيُّ قلبٍ أنكرَها نُكِتَ فيهِ

[1] طه – ١٢٣

[2] الفاتحة – ٥-٦

نُكتةٌ بَيضاءُ حتَّى تصيرَ على قلبَينِ على أبيضَ مِثلِ الصَّفا فلا تضرُّهُ فتنةٌ ما دامتِ السَّماواتُ والأرضُ والآخرُ أسودُ مُربادًّا كالكوزِ مُجَخِّيًا لا يعرفُ معروفًا ولا ينكرُ مُنكرًا إلَّا ما أُشرِبَ مِن هواه))[1].

بمعنى: أنَّ الفتن ما بها؟ تأتيك واحدة واحدة، وأنت كالمحصور. والمحصور في لُغة العَرَب تعني: الأسير، المسجون. العَرَب لم تكُن تبني سجوناً، كانت تحفر حفراً على قدر طول هذا الإنسان وتضعه فيه، وبعد ذلك فوق الحفرة التي على مستوى الأرض تضع عيدان حتى لا يفكِّر أن يطلع ويخرج (هذا الحصير).

الفتن تُعرض عليك كعرض الحصير عوداً عوداً، يعني كالمحصور في الداخل، وهذا عود عود محبوس فيها. بعد ذلك قال: ((فأيما قلب أُشربها)) أُشرب ماذا؟ الفتنة! أي: رَسَب ولم يُجب، ((نكت فيه نكتة سوداء)) هذه علامة الرُّسوب. ((وأيّما قلب أنكرها)) نجح، أي أنكر هذه الفتنة: ((نكت فيه نكتة بيضاء))، حتى تنقلب القلوب إلى قلبين أحدهما ناجح والآخر راسب: ((**تصير على قلبين أبيض مثل الصَّفا، لا تضرُّه فتنة إلى قيام الساعة**))، هذه الجملة يجب أن تفهموها جيداً حتى تفهموا كيف يكون النَّجاح في الاختبار. الآن وأنت تسير في طريقك لربك لديك منهج، تَدْرُسه، ثم يأتيك الاختبار فتجيب.

الآن تَصَوَّر أن هذا الاختبار كان حول أنَّ أحداً سينزع منك رزقك، والمنهج يقول: ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾[2]، يعني الدَّارس للمنهج جيداً، عندما يأتيه اختبار يقول: هل يستطيع أحدٌ أن يأخذ منك رزقك ولو اجتمع أهل الأرض؟

الجواب في المنهج :

في الكتاب: ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾.

في السنة: ((وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ))[3].

هذا الجواب، أنت الآن ماذا يحصل لك؟ لو كنت دارساً دراسة حقيقة أوَّل ما يحصل لك الموقف، عُرضت عليك الفتنة، هل تشربها أم تنكرها؟

تشربها: بمعنى تعيش في دوَّامتها، وتحمل هم، وتبحث عن مكرِهم لتمكُر بهم، وتضيِّع نفسك في هذا كله.

تنكرها: بمعنى تضع بينك وبين هذه المشكلة حاجز، ليس معنى ذلك أنَّك لا تُفكِّر فيها؛ لكن كلَّما تُفكِّر فيها تُجيب صح، كلَّما تمرُّ على خاطرة تُجيب صح، لا نقول لك انقطع عن التفكير، أنت لما تُفكِّر لديك الجواب.

---

[1] "صحيح مسلم" (كِتَاب الْإِيمَانِ، باب بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، ١٤٤)

[2] يونس : ١٠٧

[3] "سنن الترمذي" (صفة الصلاة، باب قول النبي يا حنظلة ساعة وساعة، رقم ٢٥١٦) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

- مواقف و أجوبتها :

الآن الموقف (أ) هذه الآن الفتنة، الموقف أنَّ فلان وفلان اجتمعوا كأنَّهم سيأخذون بيتي، أنكرناه وقلنا: ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾.

الموقف (ب) جماعة في العمل يجتمعون يريدون عمل لي كذا وكذا وكذا،... انتهى.

الموقف (ج) اجتمعوا علي جماعة يريدون أخذ أصدقائي، يريدون أن يفسدوا بيني وبينهم، وكلُّ هذا أنت أجبت إجابة صحيحة.

كذلك موقف (د) و(هـ) و(ل) و(و) وكلّها مواقف من نفس النَّوع، ممكن تستمر هذه المواقف سنة أو سنتين أو ثلاث أو أربع، تتنوَّع، لكنَّها في النهاية إجابتها واحدة، تصور أنّك في كلِّ المرَّات أجبت الجواب الصحيح، قلت: ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ و((وإنِ اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك))، قلت هذه الإجابات بقلبك ووجدانك ويجيء الشيطان يخطفك فترجع مرَّة أخرى، ماذا سيحصل لك بعد هذا كله؟ ((وأيُّ قلبٍ أنكرَها نُكِتَ فيهِ نُكتةٌ بَيضاءُ حتَّى تصيرَ على قلبَينِ على أبيضَ مِثلِ الصَّفا))- لنرى هذا الأبيض – ((فلا تضرُّهُ فتنةٌ ما دامتِ السَّماواتُ والأرضُ))- ما معنى ذلك؟ معنى ذلك أنك قد مررت بهذه الفتنة – ((كالحصيرِ عوداً عوداً)) – وسنة وسنتين وثلاثة وأربعة وأنت تدور حول نفس الموضوع، ولديك نفس الإجابة، تكتب نفس الإجابة!. إذا نجحت، فإنَّ هذا النوع من الفتن لن يُعرض عليك مرَّة أُخرى إلى أن تقوم السَّاعة!.

لكن هناك نوع ثانٍ، وثالث، ورابع وعاشر والمائة والمليون! هذا كله سيكون واضحاً أمام عينيك لو كان القرآن واضحاً، لو حقاً انكببت عليه لتكتبه بدم قلبك، لا لتتلوه بطرف لسانك! هذي هي المشكلة الحقيقية، أنَّ القرآن وقف عند الألسنة، واجتهدنا، لكن لا زلنا نجتهد حول ألسنتنا!.

هذا المنهج تدرسه حتى تنجح، وهذا النَّجاح ليس فيه غش أبداً. ليس هناك مجال أن تَغُش في هذا الاختبار، وتقول شيء في لسانك وهو غير موجود في قلبك، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[1]، أي: ليس هناك مجال تتلقَّن الإجابة من غيرك وتقولها بلسانك وتعتقد أنَّك تغشُّ ربَّ العالمين المطَّلع على ما في قلبك! تكون ضيَّعت نفسك؛ لأنَّه سبحانه وتعالى لا يَقبل في هذا الامتحان إلا حق، صِدق ما في قلوب الخلق، ولذلك انظري إلى الآيات في سورة العنكبوت، بدأت بـ: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ وبعد ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

[1] العنكبوت : ١-٢

﴿ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[1]، و ننظر في آية ١١: ﴿ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾[2]

يعني تصوَّر: أنت تمشي في الاختبار، وأنت الآن مُعلِن إسلامك، أمام النَّاس كلّهم أنت مُسلِم، تأتي الاختبارات، ماذا تفعل؟ تجعل هناك صادق وكاذب، تزيد وتزيد إلى أن ينقسم الناس إلى مؤمن ومنافق!.

ما علامة المؤمن؟ هل إنَّه ما يُبتلى؟ هل إنَّه ينجح في الاختبارات كلها؟ ننظر آخر السورة فيها آية تبيّن علامة المؤمن من المنافق، قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[3]، لا يُمكن أن تنجح في كلِّ الاختبارات ومن أوَّل المرات، وأن تحفظ وتتحفَّظ القرآن بقلبك ومباشرة تفهمه بعمق! لكن لا بأس، هناك شيء اسمه جهاد؛ يعني: كلَّما زِدت فهماً لهذا الأمر، المفروض تزيد عزيمتك.

إذن فهمت أنك مُختبر، وأنَّ مادة اختبارك هي القرآن! وأنَّ أسئلة الاختبار التي تتكرر عليك هي: الأقدار، هي النَّاس هؤلاء الذين يحيطون بك، قال الله عزّ وجلّ في سورة الفرقان: ﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَ ﴾[4]، ولك أن تتصوَّر كلّ النَّاس من حولك، عبارة عن ماذا؟ ما اسمهم؟ كلُّهم بدون استثناء اسمهم: فتنة، يعني لو أردت أن تضع عنوان على كل شخص حولك: (آباء، أمهات، علاقات، أولاد، زملاء، أصدقاء، مجتمع العمل، مجتمع الدراسة،...إلخ)، كلّهم ستكتب عليهم فتنة!.

فلو تصوَّرت أنَّهم فِتنة ستعاملهم هذه المعاملة: أنَّ ربَّنا لم يضعك في طريقي إلا لينظر لقلبي، فهل سأميل إليك؟

- مثلاً أنت غني وأنا فقير، وأنا محتاج، وأذهب إليك وأحكي قصة حياتي وقلبي كله متعلق بك.
- أو مثلاً أنا أحتاج إلى احتضان واهتمام وقلبي كلُّه معلَّق إنَّك تفعل لي هذا الفعل.

ويغيب عن الإنسان أنَّ هذه القلوب بيد الله، وهذا المال رِزق من الله، وإنَّما حبس عنك هذا المال ليرى ماذا ستفعل؟! ﴿ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[5]، والا ستتذلَّل عند أبوابهم.

المقصود من هذا كله:

أن تفهم أنَّ هذا القرآن لم يُنزله الله للتِّلاوة فقط، إنَّما التِّلاوة هي الوسيلة.

ونتدارس اليوم جزء من هذا المفهوم، ولازِلت أقول لكم: هذا المفهوم واسع جداً، يصعب حصره في مثل هذا اللِّقاء، لكن إشارات خيرٌ من أن تغيب عنَّا هذه المسألة تماماً.

نبدأ باسم الله.

---

[1] العنكبوت : ٣

[2] العنكبوت : ١١

[3] العنكبوت : ٦٩

[4] الفرقان : ٢٠

[5] الجمعة : ١١

سنقرأ بعض النُّصوص التي ستُشير لنا إلى علاقتنا بالقرآن وأثر القرآن علينا:

هذا الأثر الذي أخبر الله به عن القرآن أنَّه لابدَّ أن يكون موجوداً في نفوسنا؛ إلا أنَّ حواجزاً أصبحت في نفوسنا حجزتنا عن هذا الأثر!.

سنبدأ بالآية الأولى: يقول الله عزَّ وجلَّ في صدر سورة إبراهيم:

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1]

{كتاب} ما وصف ذلك الكتاب؟ {أنزلناه}. إلى من أُسند فِعل الإنزال؟ إلى الله تعالى. على من نَزَل؟ {إليك} إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم. مالغاية؟ الغاية واضحة جداً: {لتُخرج الناس من الظلمات إلى النور}، يعني النَّاس ما هِم؟ في الظلمات، سيُخرِجهم الله عزَّ وجلَّ من الظُّلمات إلى النُّور بسبب هذا الكتاب، لكن لن يحصل هذا الأمر إلا {بإذن ربهم}.

اتَّفقنا أنك مُختبر، تشعر أنَّك في اختبار، ما منهجك لتنجح؟ ماذا تحتاج؟ تحتاج أمرين:

١- تدرس المنهج.

٢- تستعين بالله.

إذن هذا القرآن نزل حتى تخرج ياأيُّها الإنسان من الظُّلمة إلى النُّور، ولن يحصل لك هذا الأمر إلا بإذن الله.

السؤال الآن: هل نحن نشعر أنَنا في ظُلمة ولن يُخرِجنا منها إلا القرآن؟ ليس كلُّ النَّاس يشعرون بالظلمة، ولأنَّ الإنسان لا يشعر بالحاجة لذلك لا يتوجّه إليها!

لماذا لا نشعر بالظلمة؟

لابدَّ أن نُفتِّش في نفسنا: لماذا عندنا مشاعر عدم الشُّعور؟ لماذا مُنفصِل عنَّا عدم الشُّعور؟

أفضل تعبير عن المسألة: لأنَّه عندنا حالة من الالتهاء، **مُلتهين**، لا نشعُر أين الظُّلمة وأين النُّور، **تائهين**، هذه الحقيقة!.

والمشكلة أنَّنا نَعلَم بأننا تائهين ونَعلَم أنَّ الدِّين هو الحل –كلّنا في قلوبنا القناعة، حتى البعيد عن الاستقامة يَشعُر أنَّ الدِّين هو الحل– ومع ذلك لما يتَّصل بالدِّين، يتَّصل بالقرآن، تجده باقياً على تيهه!. لماذا تتصل بالقرآن ولازِلت تائهاً، لا يظهر عليك أثر القرآن؟! لا يظهر في كلامك ولا في مظهرك ولا في تعاملك مع الله، أين المشكلة؟ نفس

[1] إبراهيم : ١

معاملة القرآن ما بها؟ بها خلل!. يُمكِن أن يكون الإخلاص ويُمكِن أن يكون أموراً أخرى، ربَّما يكون الإنسان مُخلصاً لا يُريد إلَّا وجه الله، لكنَّ القرآن على لسانه وَليس في وجدانه، ولذلك تحصُل مثل هذه المشكلة!

إذن لابدَّ أن تعتقد أنَّ أثر هذا القرآن على الإنسان: {لتُخرج الناس من الظلمات إلى النور}، ولن يحصل هذا إلا بإذن الله عزَّ وجلَّ، إلا {بإذن ربِّهم} الذي ربَّاهم ونقلهم من النَّقص إلى التَّمام

- **نقل أبدانهم** من النَّقص إلى التَّمام بما رعاهم وغذَّاهم
- **ونقل أرواحهم** من النقص إلى التَّمام بما علَّمهم وأوفاهم بهذا العِلم.

لكن هل كما نحن بعقول إدراكنا نُدرك مصالح أبداننا؟، هل نحن بعقول رُشدنا نُدرك مصالح قلوبنا؟! نحتاج أن ينضُج فينا عقل الرُّشد كما أن عقل الإدراك موجود وقوي والنَّاس يتعاونون عليه. كلّ النَّاس يُدركون مصالحهم، ويتعاونون في الوصول إلى مصالحهم التي تتَّصِل بأبدانهم. لكن **مصالح القلوب!** هل اجتمعنا من أجل النفع؟ نعم، الحمد لله في أماكن كثيرة موجود فيها الاجتماع من أجل نفع القلوب، لكن لابدَّ أن تكون هناك خطَّة واضحة لهذا الانتفاع! مايصير في الأخير أنا أصِل إلى القرآن وأجِد نفسي في نفس النُّقطة ما تغيَّرت! كل القضيَّة صارت أنِّي أنا حافِظ، لكن من الدَّاخل لم يتغيَّر شيء كما ينبغي!

انظري ماذا قال الله عزّ وجلّ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ إلى أين؟ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ لماذا هذان الاسمان؟ (العزيز الحميد)؟

سنرى هذا في تفسير الشيخ السعدي، قال:

"وفي ذكر (العزيز الحميد) بعد ذكر (الصراط) الموصل إليه، إشارة إلى أن من سلكه، فهو عزيز بعزة الله، قوي، ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة".

- سلكه: سلك صراط القرآن.
- هذا عزيز يعني إلى صراط، هذا الصراط الذي ستسير عليه لما تُمسِك بالقرآن سيكون سبب لعزِّك ولو افترق النَّاس عنك!
- فكأنَّه يوجد مفهومين معاً:

١. ستكون عزيزاً بالقرآن لما تمشِ على هذا الصراط.
٢. لكن هناك شيء آخر وراء هذا المفهوم، ماذا سيفعل النَّاس لك؟ هل سيكونون معك أم سيتخلَّون عنك؟ سيتخلون عنك! لأنه أن يقع هذا في وجدانك وتعيشه في مجتمع لا يُعايشه، ماذا سيحصل؟ النَّاس ماذا سيفعلون؟ سيقولون لك: لا تتشدَّد! لا تتعقَّد! لا تعقِّدنا! ومن هذا الكلام.

فكأنَّه يُقال: ستكون عزيزاً ولو بعد حين، مادُمت تمشي على الصِّراط! فلا تظن بقاؤك مع قومك سبب لعزَّتك، إنَّما هذا سيُخرجك من الظُّلمات إلى النور، ولما تمشِ على الصراط وإن كان في أول الأمر لايوجد غيرك

يمشي –يعني في وسطك، في عائلتك، في وضعك– لا تقلق، ستكون عزيزاً! سيبقوا لا يحمدونك ويذمُّونك. يُقال لك : وهذا الصِّراط، السَّائر عليه سيكون في نهاية الأمر محمود في أموره كلِّها! سيكون حَسَن العاقبة.

إذن، هذا القرآن ماذا تعتقد فيه؟ أنّه يُخرج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور، بمعنى أنَّ كُلّ مسألة أنت لا تعرف فيها ماذا يقول الله، ماذا يقول النَّبي صلى الله عليه وسلم، ماهو الصِّراط المستقيم فيها، فأنت فيها في ظلمة.

نأتي إلى الآية الثانية التي تمثل أثر القرآن على الإنسان:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1]

يوجد أثرين هنا للقرآن:

١. النَّاس في الأصل ميِّتون؛ يُحييهم القرآن!

٢. النَّاس في ظلمة بينهم وبين بعض، القرآن بالنسبة لهم كالسِّراج، يعني هو في قلبه يحيا، ثمَّ يسير فيجد النَّاس في ظُلمة وهو معه سراج، معه نور يمشي به في النَّاس.

يجب أن تفهمي هذا التشبيه جيداً وتتخيليه واقعاً: هذا الذي معه القرآن، معه في قلبه وليس على لسانه فقط، النَّاس ما حالهم وما حاله مع النَّاس؟! تصوَّري مثل هذه القاعة ووقع ظلام تام، نريد أن نخرج، فالذي ليس معه نور ماذا سيحصل به؟ سيصطدم بغيره! سيعيش الصِّراع الذي يعيشه كل النَّاس الآن بدون القرآن، سيُصارِع على لُقمته، وعلى قلوب الخلق، وعلى لِباسه، وعلى احترام النَّاس، وعلى كل الحاجيَّات سيُصارع، والناس يظنُّون كأنَّهم يأخذون لقمتهم من فم الأسد، سيبقى في الصِّراع، واللُّقمة هذه سواء لقمة مادِّية أو لقمة معنوية، أمَّا من معه هذا النُّور فلا يصطدم بأحد! النور معه يرى طريقه.

هذه أول مصلحة من النور: إنه ما يصطدم بأحد! مهما جاء أحد وكلَّمه. فبين عينيه قول الله: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾[2]، بين عينيه: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[3]، بين عينيه كلام النبي صلى الله عليه وسلم : ((إنَّ من ضعفِ اليقين

[1] الأنعام : ١٢٢

[2] الفرقان : ٢٠

[3] الفرقان : ٦٣

أن تُرضيَ النَّاسَ بسخطِ اللهِ، وأن تحمَدَهم على رزقِ اللهِ، وأن تذمَّهم على ما لم يُؤتِك اللهُ، إنَّ رزقَ اللهِ لا يجُرُّه إليك حِرصُ حريصٍ ، ولا يرُدُّه كُرهُ كارهٍ))[1] .

كل هذه النُّصوص تكوِّن له نورًا في الطريق فلا يصطدم بأحد، ثم إنَّه – بهذا النُّور الذي معه – يُمكن أن ينفع غيره، لكن أنتِ لا تفكِّري في نفع غيره قبل أن تفكِّري في نفع نفسه، الآن الذي معه نور والنَّاس كلّهم في ظُلمة سيرى طريقه فلا يصطدم بأحد، ولا يصطدم بأشياء تُهلكه، ثمَّ يمكن لمن سار معه أن ينتفع من نوره!.

إذن ما أثر القرآن على الإنسان؟

- في آية إبراهيم اتَّفقنا على أنَّ النَّاس في ظُلمة، يتعلَّمون القرآن فيدخل النور نقطة نقطة.
- الأمر الثاني: النَّاس في أصلهم قلوبهم ميِّتة، إلا أنَّ القرآن يدخل إليهم فيحييها!
- الأمر الثالث: الناس بعضهم مع بعض في ظلمة، إلا أن يدخل القرآن فيصبح الإنسان معه سراج، ماذا يحصل بهذا السراج؟ يسير بين الناس بهذا السراج.

الشيخ السعدي يقول في هذه الآية ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾: "فَأَحْيَيْنَاهُ بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور، مُتبصِّرا في أموره، مهتدياً لسبيله، عارفاً للخير، مؤثراً له، مجتهداً في تنفيذه في نفسه".

"فأحييناه بنور العلم" يدخل إليه العلم بالقرآن، هذا العلم ماذا سيولِّد له؟ قال: "الإيمان"، هذا الإيمان ماذا سيفعل له؟ ستأتي "الطاعة"، يعني النَّاس سيسيرون هذا السَّير:

كلَّما تكرَّر العِلم، دخل في القلب الإيمان (تقرَّر الإيمان)، كلَّما تقرَّر الإيمان وزاد، كلَّما وقعت الطَّاعة!

سنضرب مثال:

من القرآن تَعلَم أنَّ هناك يوم تجازى فيه على أعمالك.

من القرآن تَعلَم أنَّ النَّاس يوم القيامة إمَّا مؤمن صادق، وإما كافر ومنافق.

من القرآن تَعلَم أن أهل الكفر والنفاق يخرجون فيحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون.

الآن هذه معلومات، كيف تكون مؤمناً بها؟ تكون مُصدِّقاً، مُعتقداً، مُتيقِّناً، يعني يتحول العلم إلى يقين! بمعنى أنَّ بين عينيه هذا الخبر، ترى النَّاس يوم القيامة يخرجون يحملون أوزارهم على ظهورهم، يعني سيحملونها حملاً كما ترون العُمَّال يحملون الشيء الثَّقيل على ظهورهم! عندما ترين عامل يحمل على ظهره شيء ثقيل، ماذا يقع في قلبك؟ شفقة. وهو يسير على أرض ثابتة! فكيف وهم يوم القيامة يحملون أوزارهم الثَّقيلة والأرض كأنَّها كثيب مهيل، كأنها رمال متحركة، فيمشي في مثل هذه الأرض وهو يحمل أوزاراً ثقيلة، ﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[2].

[1] أخرجه أبو نعيم في « الحلية» ٥ / ١٠٦ و ١٠ / ٤١ والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٠٣)، قال الشيخ سليمان رحمه الله في التيسير: ضعيف ومعناه صحيح.

[2] الأنعام : ٣١

من عَلِم هذا، فآمن أنَّه لابدَّ أن يقع، ماذا سيفعل؟ سيهرب من الوِزر من أجل ألَّا يحمله على ظهره!.
من عَلِم أنَّ يوم القيامة الشَّمس تقترب من رؤوس الخلائق، وأنَّ الإنسان لا يستطيع أن يَحجُبها إلَّا على قَدرِ صدقته، وتكون هذه المعلومات أمام عينيه. ماذا سيحصل؟ سيُكثِر من الصَّدقة!.
الآن نحن كلّنا – الحمد لله – في هذه الأماكن نحقِّق الطَّرف الأول الذي هو **العلم**، بقي أن يتحول هذا العلم إلى **علم يقيني**، إلى علم في القلب من أجل أن **يحيا** به الإنسان، فتأتي **الطاعة** وأنت مشتاق إليها، لا وأنت تُجرجِر نفسك لها!
ولذلك سنقف هنا عند مسألة في نفوسنا لا بد أن نطَّلع عليها ونستوعبها تمام الاستيعاب لنفهم كيف يجب علينا أن نتأثَّر بالقرآن.

مرة أخرى : ما أثر القرآن على الإنسان من خلال ما مرَّ معك من نصوص (آية إبراهيم وآية الأنعام)؟

- النَّاس في ظلمة، يأتي القرآن مُخرج لهم من الظُّلمات إلى النُّور، يجب أن تتيقَّن ذلك. وأنتِ ترين الرجل أو المرأة لما تقع عليهم أقدار الله كيف يعاملون الله! ثُمَّ لما تظهر لهم حقائق هذه الأقدار والمصلحة التي فيها ياليتهم يحمدون الله ويتوبون عمَّا مضى!. يتخبَّطون وقت نزول القَدَر، يتخبَّطون وقت ظهور الحِكمة منه، حتى لا ينسبون النِّعمة إلى الله، بل والله القوم وصلوا إلى حال أنَّهم يظنُّون أنهم يمكرون بالله! يعِدون الله أنَّه في وقت الأزمة أنَّه لو أخرجهم سيستقيمون؛ يخرجون فلا يستقيمون وينقضون عهدهم مع الله!.

إذن من اليقينيَّات التي يجب أن تستقرّ في قلبك أنَّ القرآن يُخرج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور. النَّاس يتخبَّطون في الظُّلمة، لايعرفون التفكير الصَّحيح، في مواقف كثيرة القرآن يُرشدهم كيف ينظرون إلى الأمور، كيف يتصوَّرونها، يربِّي في عقولهم عقل الرشد، يقول لهم: هذه الدُّنيا وشهواتها إنما هي كالماء المسموم، لا تأخذها، لو تجرَّعت هذا الماء ستموت! لو أخذت هذه الشَّهوة ستذهب إلى النَّار.
يأخذ الرِّبا يظنّ أنَّه بذلك يُفرِّج كربته وهو يقتطع لنفسه قطعة من النار!.
يأتي الرَّجل مثلاً في موقف يُحرج من امرأة تمدُّ يدها له، يُصافحها! يُحرج فيريد أن يخرج من موقف الإحراج، لكن معه عقل إدراك، يُدرك أنَّ هذه المرأة ستغضب لو لم أصافحها وسُمعتي ستُصبح سيِّئة؛ ولا يُفكِّر بعقل الرُّشد أنَّ جمرة من النَّار ستوضع في يده!
لما يأتي النُّور ما يأتي مرَّة واحدة، كلَّما زِدت عِلماً، زِدت نوراً، النُّور يأتي على قدر العِلم.
إذن النَّاس في ظلمة، **ولن يخرجهم إلى النُّور إلا هذا القرآن**، وهو الذي سيجعلهم على صراط العزيز الحميد.
إذن آية سورة إبراهيم خرجنا بها بأثرين للقرآن:

١. يخرجهم من الظلمات إلى النور.
٢. يجعلهم يستقيمون على صراط العزيز الحميد.

لازم تتيقن بذلك، ما يصلح أن تكون لك علاقة بالقرآن وأنت لا تعرف أثره عليك، لكن ممكن يأتي إنسان يقول: أنا لا أشعُر أنِّي في ظُلمة، ولا أشعر أنَّ النُّور أتاني من القرآن! نقول: نعم، وذلك بسبب معاملتنا للقرآن! معاملتنا للقرآن هي اللي جلبت لنا هذه المشكلة: يجب أن نعامله معاملة من يرى أنه يخرجه من الظلمات إلى النور!

- الأمر الثاني: في آية الأنعام تبيَّن لنا أنَّ النَّاس وصفهم المشترك أنَّهم ميِّتين! إلا أنَّ القرآن يدخل على قلوبهم فيُحييهم.
- الأمر الثالث: أنَّ النَّاس كلُّهم في ظلمة يتخبَّطون، إلا أنَّ من دخل إليه القرآن أصبح معه مثل السِّراج يسير به في النَّاس. معنى هذا: يُخرجك من الظُّلمات إلى النُّور بنفسك! يحيي نفسك من الموت، يجعلك عالصراط المستقيم، يُصبح كأنَّ معك سراج تسير به في الناس.

إذن الإحياء يكون بهذه الطريقة: أولاً سيأتي العلم، و يجب أن نتعامل معه معاملة من يتيقَّن به، فإذا تيقَّن به؛ حصل الإيمان، وإذا حصل الإيمان؛ يأتي بعد ذلك الطَّاعة!.

أمَّا أنَّك تتصوَّر من نفسك أنَّها ستتجرجر إلى الطاعة وتثبُت عليها دون أن تُعلِّمها ويتحوَّل هذا العِلم إلى يقين: فأنت تعالج مستحيلاً! نفسك ما تَثبَت، وهذا سبب كثير من الانتكاسات، وهذا أيضاً سبب انتشار النفاق الأكبر!

مرة أخرى:

نحن نقول الآن: أخطأ من يظنُّ أنَّه يستطيع أن يستقيم على الطَّاعة ويثبت عليها كما ينبغي، دون أن يكون معه إيمان! لابدَّ أن يكون معه إيمان حتى يثبت على الطاعة، والإيمان مصدره: العلم (القرآن)، لو أردت أن تُعلِّل ما هو واقع معنا، نحن في المجتمع واقع معنا أمرين:

١. الأمر الأول **انتكاسات**: يحفظون القرآن وبعد ذلك يتحولون إلى ضده!. يكون مؤمناً معه القرآن يصير ملحداً يحارب القرآن! وهذه ليست صورة جديدة، هذه صورة مُتكرِّرة عبر العصور: أن يكون معه قرآن، لكن هذا القرآن ما أدخل إليه عِلماً ولا إيماناً! فكان في الظَّاهر كأنَّه يُطيع، ثُمَّ جاءته اللَّحظة التي انقلب فيها، انكشف على حقيقته! وهذا صرَّح بانقلابه، انتكس، نسأل الله أن يحفظ علينا إيماننا، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

٢. الأمر الثاني **النفاق الأكبر**: تأتيني حالة أخرى، واحد باقٍ ظاهره كما هو، محافظٌ على ظاهره، لكن من وجدانه لا شيء! وهذا هو النفاق الأكبر الذي يخبر الله عزَّ وجلَّ عنه في سورة الحديد يخبر عن المآل، النتيجة: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[1]، يسيرون معاً في موقف القيامة وكأنَّ معهم نور- هذا النُّور الذي كان هنا معهم في الدُّنيا يذهب معهم في الآخرة- الذي ليس معه نور في الدُّنيا يتصوَّر في الآخرة أنَّ معه نوراً، يمشي، بعد ذلك يُطفأ النور، ثمَّ يُضرَب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَله العذاب، ثم يفاجؤون —وليس لهم

[1] الحديد : ١٤

حق في المفاجأة– {ينادونهم} ماذا يقولون لهم: {ألم نكن معكم} ألم نكن معكم نحفظ؟ وكنَّا معكم نذهب الدُّروس؟ وكنا معكم نتناقش؟ وكنا... قالوا: {بلى} لكنَّكم ماذا فعلتم في أنفسكم؟ {فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور}، فالمسألة ليس فيها كذب: اختبار يظهر فيه الصِّدق، فمن لم يكن معه نور هنا، وخُدع بشيء من النُّور أو خَدع النَّاس بشيء من النُّور؛ فكما خدعهم هنا يُخادعه الله يوم القيامة! لأنَّك أنت أمام النَّاس، كلَّنا نشترك في هذا الوصف: أمام النَّاس طائع، صاحِب دين، وبعد ذلك يأتي النَّاس الضُّعفاء، يعني ضعفاء في فكرهم، يقولون: ماشاء الله فيك نور ووجهك منوِّر، وخُذ من هذا الكلام، وأنت تُصدِّق! وأنت تعلم من الدَّاخل أنَّك ما تحمَّلت القرآن كما ينبغي. فالقُدرة على مُخادعة النَّاس يسيرة، لكن كما تحصل مخادعة هنا، ماذا يحصل؟ ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[1]، فكان أهل العِلم يقولون أنَّ آية الحديد تفسير لقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ يعني: يخدعون الله ويخدعون المؤمنين ويظنُّون أنَّه لما الله عزَّ وجلَّ تركهم على حالهم، وصاروا النَّاس مُصدِّقين أنَّهم أهل القرآن وأهل الإيمان، ظنُّوا أنَّ هذه الخديعة التي صارت للنَّاس يمكن أن يخدعوا الله بها! فلمَّا أتى يوم القيامة أبقى معهم نور خدعهم به إلى أن ضُرب بينهم بسور له باب، وهذه العقوبة من نفس جنس العمل.

المقصود علينا أن نكون حريصين، لا تغتر! إذا كان النَّبي صلى الله عليه وسلم يُكثر من قول: "يا مُقلِّب القُلوب ثبِّت قلبي على دينك"، ماذا نقول نحن؟ بعدد أنفاسنا نقول: يا مقلب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك!.

إذا كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه وهو من المبشَّرين بالجنة، تمرُّ عليه جنازة فيقول حذيفة رضي الله عنه: يُريد أن يقوم عمر رضي الله عنه، فيقول حذيفة رضي الله عنه: دَعْها، ففهم عمر رضي الله عنه أنَّ الميِّت مُنافق، فَفَزِع فَزعاً حقيقياً! نسي أنَّه مبشَّر بالجنة! نسي كلام النَّبي صلى الله عليه وسلم عنه! قال له: أستحلفك الله! أعدَّني النبي صلى الله عليه وسلم منهم؟! تصوَّر هذا الخوف من النفاق!.

ثم يقول ابن أبي مليكة وهو من التابعين: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم –يعني وُلد ووَصَل إلى سنِّ البلوغ ووجد ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم– ماهي الصفة المشتركة بين الثلاثين؟ يقول: كلُّهم يخشى النفاق على نفسه! بسبب ماذا؟ بسبب أنَّ أعينهم على قلوبهم، هذه دلالة الحياة، لكن عدم الخوف من النِّفاق دلالة على موت القلب! يجب أن نكون واضحين مع أنفسنا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ القرآن هذا يدخل إلى القلب فيُحييه، القرآن يدخل القلب يُكسب الإنسان نوراً، هذا أثر القرآن! إذا لم تجد هذا الأثر فتِّش عنه! لا تسكت على نفسك، هذا شيء مهم!.

لاتقل أنا ماشي في الطَّريق والحمدلله، نحن نحمد الله أن وفَّر لنا السُّبل وهيَّأها – نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجزي كل من وفَّر سُبل القرآن نوراً في قلبه– لكن مع توفُّر السُّبل، ومع هذا الأمن والأمان الذي نشكر الله عليه ونسأله أن

[1] النساء : ١٤٢

يُثبِّت علينا هذا الأمن والأمان ويزيده وينشره في بلاد المسلمين، ومع أنَّنا أهل اللُّغة، ومع الرَّخاء الذي نعيشه في مقابل هذا كله ماذا فعلنا؟ لابدَّ من التَّفتيش لأنَّ طريق القرآن يسيرُه المؤمن والمنافق، لا يتميَّز المؤمن إلا بصدقه مع نفسه، لا يتميَّز عن المنافق بأنَّه يحفظ أكثر ويقرأ أكثر، يتميَّز بصِدقِه مع ربِّه، ببَحثِه عن النُّور الذي هو أثر القرآن، يبحث: أين النور؟ أين صورة الحياة التي أخذتها من هذا الكتاب؟.

يعني لما ضرب الله عزَّ وجلَّ مثلاً للحياة الدنيا، ضرب ثلاثة أمثال: في يونس، وفي الكهف، وفي الحديد.

وها نحن نقرأ الكهف كل أسبوع، مُثِّلت لك صورة الحياة، وقيل لك هذه الحياة مثل الزَّرع: أتراه كيف ينمو ويخضرّ ثم يموت، وتراه مُصفراً، هشيماً، كل هذه الوصوفات تدل على ماذا؟ تدل على أنه يذهب.

هكذا الحياة، فهل تصوَّرت الحياة من الصورة التي أعطاك إياها القرآن؟ النُّور أنَّك تتصوَّر الأشياء والحياة من القرآن.

- ننتقل للطريقة التي يصبح فيها القرآن حياً بداخلنا:

اجْعَلْهُ حيَّاً سيُسبِّب لك الحياة!

هذه الآية هي التي سنبدأ بها هذا النقاش، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1].

ماذا يقول سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا} لمن؟ {لله} ولمن؟ {وللرَّسول} الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يدعوننا إلى أي شي؟ {إذا دعاكم لما يحييكم} إذن، ما يدعونا إليه الله عزَّ وجلَّ ورسوله صلى الله عليه وسلَّم إنَّما هو دعوة للحياة، لا تنسَ: ﴿ لِنُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ، ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ ، ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ، وإذا ما استجبتم، وإذا ما فتَّشتم عن الحياة داخل قلوبكم، ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾، دعونا نُناقِش هذه وبعد ذلك نرى كيف نحيا بحياة القرآن؟

مالذي يحيينا؟ كلمات القرآن هي التي تحيينا، فالذي يحيينا هذه الكلمات، هذه المفردات التي في القرآن، لكن ليس بألفاظها، ولا بحروفها، بل بما وراء الألفاظ! بالمعاني التي تحملها هذه الألفاظ، وهي روحها –أي أنّ الألفاظ تحمل معاني، المعاني هي روح الكلمات– دعونا نفهم هذه النقطة جيِّداً في نفسياتنا، ونرى بعد ذلك كيف هذه الكلمات تُحيي الإنسان.

لو أريد أن أقول: أنا وأنت وكل الخلق ما منظومتهم؟ يعني ما نقاط تأثيرهم التي يتأثَّرون بها ومن ثم يتحرَّكون؟ باختصار **نحن نتكوَّن من ثلاثة أمور**، هذه الثلاثة أمور ترجع إلى أمرين، نصفها كما وصف النبي صلى الله عليه

[1] الأنفال : ٢٤

وسلم: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))[1] يعني إلى هنا أنت تتكوَّن من أي شيء؟

١- من قلب: وهو المضغة

٢- وجوارح: وهي الجسد

الجسد عليه التنفيذ، ((إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله))، وبالعكس: ((إذا فسدت فسد الجسد كله)). ما المطلوب منك؟ أن تعرف أنَّ لك قلباً ولك بدناً، بدنك ما حاله؟ تابع لقلبك.

إلى هنا لدينا قسمين، سنضيف القسم الثالث:

٣- القلب فيه أمرين معاً:

١. فيه **مشاعر**، (يُحب، يخاف، يرجو، يخشى...) كل هذا داخل القلب، السؤال: مالذي يُحرِّك هذه المشاعر ويؤثِّر فيها؟ سيكون هذا هو الجزء الثالث!

٢. **معلومات**، بمعنى لو أعلم أنَّ هذا الكأس أو هذا الماء فيه قطرة من سُم، ماذا يقع في قلبي؟ أرفضه، لا أقبل أن أشربه!. ولو كنت أعلم أنَّ هذا دواء، ماذا يقع في القلب؟ تشربه.

إذن حسب المعلومات التي أعرفها عن هذا الشيء ما الذي سيتحرك؟ مشاعري. وبدني مباشرة تابع لمشاعري، إذن لدينا ثلاثة أمور الآن:

١- مساحة لاكتساب المعلومات (مُستقبِل المعلومات).

٢- ثم مشاعر تتأثر بالمعلومات.

٣- ثم المشاعر ماذا تفعل في البدن؟ تحرِّك البدن! .

مثلاً :

الذي يعرف حال كثير من الحجَّاج –ليسوا مِن أهل البلد والذي يُؤسِفنا أن نقول أنَّ مشاعرهم نائمة– كثير من الحُجَّاج الذين يأتون من الخارج، أنتم تعرفون الفرق بين منى –منطقة الجمرات– وبين الحرم، ماهي المسافة؟ لنفترض أن المسافة طويلة، يكون هذا الحاج (وَقَفَ في عرفة، بات في مُزدلفة على التراب، صلى الفجر في مزدلفة وسار إلى رمي الجمرات، ثم يسير على قدميه من الجمرات إلى مكة) –لايوجد سيارات، وتعلمون ذاك الوقت يكون في أوجهه ونحن ننتظر الباص يذهب بنا- ماذا يفعلون؟ يسيرون على أقدامهم! يسيرون على أقدامهم ليذهبون وينامون أم ليصلون الحرم ويطوفون في الزحام؟ يصلون الحرم ويطوفون في الزحام، وهناك من يطوف ويسعى، غالبهم يكونون متمتعين، فيطوف ويسعى في ذلك الموقف، مالذي حمله، مالذي حمل قدميه؟ الشَّوق إلى الطاعة!. في مقابل أنَّ أمثالهم وأكثر صحة منهم جالسون! إذن مالذي حمل الأبدان؟! المشاعر هي التي تحمل الأبدان!.

[1] "صحيح البخاري" (كِتَاب الْإِيمَانِ/بَاب فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ/٥٢)، ومسلم (كِتَاب الْمُسَاقَاةِ/ بَاب أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ/١٥٩٩).

كونك تظنّ من نفسك أنَّك تستطيع أن تستقيم بدون مشاعرك تكون أخطأت، أين ذهبت مشاعرك؟ أين ذهب حبَّك؟ أين ذهب خوفك؟ وأين ذهب شوقك؟ إلى أين ذهب هذا كله؟ أين صرفته؟ المشكلة أن مساحة المعلومات ممكن تكون عندي كثيرة صحيحة، لكن مشاعرنا مشغولة.

من مراحل وجود المشاعر إلى نُضجها وهذا القلب تتسرب منه المشاعر يمنة ويسرة نوزعها! ثم تأتيني كلمات القرآن، يأتيني العلم، ومشاعري تائهة، ماذا سيحصل؟ يصبح هناك فجوة!

يعني المنظومة بهذي الصورة: معلومات تؤثر على المشاعر، مشاعر تؤثر على البدن، يوجد مشاعر تائهة، مشغولة، ما أخذت من الكلمات أبعادها! الكلمة وصلت، لكن ماشغلت مشاعر، ماذا يحدث ؟ ما تتحرك الأبدان.

لو أقول لأهل جدة الشباب في مرحلة المتوسط والثانوي كلمة (إجازة) ماذا تفعل فيهم هذه الكلمة؟ كالسحر، يعني غصب عنهم يبتسمون ابتسامة عريضة –للأسف– لماذا هذه الكلمة أخذت هذه المساحة من المشاعر؟ لأنهم فهموها، فهموا أبعادها، شَغَلَت الكلمة مساحتها من جهة الشعور، فهموا ما وراءها! وكلُّ واحد فينا هكذا في حياته، مجموعة كلمات تشغل مشاعره، إذن ماذا علينا أن نفعل:

كلمة وراءها مشاعر! أول ما تسمعي الكلمة ما تأثيرها عليك؟ تنادين هذه المشاعر كلها! أول ما تناديها ماذا يحصل في البدن؟ حركة!

نحن ماذا حاصل لنا؟ توجد كلمات بلا مشاعر، والبدن نجرّه إلى الطاعة!

يعني يقول لك المؤذن: حي على الصلاة، حي على الفلاح، كلمة (الفلاح) هذه ليس لها في داخلنا مشاعر–لنكُن صادقين– كلمة الفلاح كوصف للصلاة ليس لها مشاعر في داخلنا فما تُحرِّكنا، لماذا؟ أتدري مالفلاح؟ أتدري خسارة الفلاح؟ لو كنت أعطيت هذه الكلمة مساحتها من المشاعر فأول ما تسمعها ستثيرك!.

انظر إلى موقف الإمام أحمد: كان لما يرى النصراني مايستطيع أن ينظر إليه، يغمض عينيه! لماذا؟ لأنَّه عنده كلمة النصراني بمعنى سبَّ الله، يدَّعي الولد لله، يدَّعي الجريمة العظيمة! الواحد فينا لا يرضى بسابٍّ والديه، فكيف يرضى ويترضَّى عمَّن يسُبُّ الملك العظيم الرب الكريم؟! يسبُّه ليلاً ونهاراً، ويقول له صاحبة وله ولد. لكن هذه الكلمة ليس لها في المقابِل مشاعر، فيأتي شخص يقول: لقد بالَغ الإمام أحمد! في نظرك أنَّه بالَغ، لماذا تعتبر أنَّه مُبالِغ؟ لعدم وجود هذه المشاعر في قلبك، فمن الطبيعي أن تراه مبالغة!.

فهذا القرآن سببٌ للحياة. هل تعرف متى يكون سبباً للحياة؟ لما تحيي الكلمات، هذا هو الطريق! أنت لك مشاعر مشغولة، وهناك كلمات ميِّتة.

هل تستطيع أن تُنكر أنَّ الموت سيأتيك فجأة؟ لا! أتدري ما معنى الموت؟ معناه انقطاع العمل! أتدري ما معنى انقطاع العمل؟ معناه: انتهى الاختبار! لا يوجد زيادات! معناه: من الأُنْس إلى الوحشة، من الأُنْس بالخلق إلى

الوحشة في القبر –إذا لم تؤنس نفسك بالعمل الصالح– ما بالنا نتبادل كلمة الموت، نتبادلها كلمات، نقول: سنموت، وماتوا، وهذا في سكرات الموت... وما في أي إثارة؟! كلمة (سكرة الموت) أين مشاعرك تجاهها!

أتدري ما سكرة الموت؟

سكرة الموت تعني: غياب عقلك التَّام، وفي هذه اللحظة، ما يخرج إلا ما خزَّنته طول حياتك، ما يخرج في هذه اللحظة إلا الذي خزَّنته!. تَسكَر!! أتدري ما تَسكَر؟ يغيب عقلك ويخرج ما خزَّنته!. لما تسمع هذا الكلام معناه أنَّك ستكون حريصاً على أن تخزِّن حسنة، حتى لما تسكر ما يخرج منك إلا حسنة! ولكننا هانحن نسمع كلمة (سكرة الموت.. الموت.. الحياة الآخرة.. لقاء الله.. إلخ)، كل هذا ميِّت، هذه الحقيقة، ميِّت! ماذا حصل في مشاعرنا؟ انشغلت، وهذا تحقيق قوله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾[1] يعني: يبقى الإنسان مُلتهٍ ومشاعره ملتهية إلى أن يموت وهو على نفس الحال!.

أكيد أنكم تتساءلون: ماذا نفعل حتى تحيا هذه الكلمات في قلوبنا؟

كيف نحيا بالقرآن؟

النصوص القرآنية مكونة من:

١– كلمات.

٢– ألفاظ.

ماهي الكلمات والألفاظ؟ هي الحروف المرئية أو المسموعة.

أنت تحفظ القرآن (الكلمات والألفاظ) كل كلمة لها معنى أو أكثر. المعنى: هو كل ما يدل عليه اللفظ من أمور معهودة في الذهن.

إذن **الكلمات والألفاظ** هذا الذي أنت تتحفَّظه بلسانك. **المعاني**: هي التي وراء الألفاظ!

الآن يجب أن نتَّفِق أنَّ النَّاس لما تطرق آذانهم الكلمات، يحصل بينهم تفاوت في فهمها، في وقعها، وفي التفاعل!

السؤال: على أيِّ أساس يحصل التفاوت بين النَّاس في فهم كلمات القرآن وفي وقعها؟ يحتاج كم أمر؟

نبدأ بالأمر المسلَّم به: ذكرنا أنَّ الكلمات تُأثِّر في المشاعر، نحن نحتاج أن نُحرِّر مشاعرنا، نفكّها من أسرها.

يعني أنت تقرأ القرآن وهناك شيء يدفعك دفعًا يقول لك: تدبَّر، تقول: سيطول علي الوقت!

لم العجلة؟! ما شغلك في الحياة؟ ما عملك في الحياة؟! عملك أن تحيا بهذا القرآن، اقضِ حياتك كلَّها فيه، وأنت تسابق من في القرآن؟! فإذا كانت مشاعرك ليست مشغولة بالدنيا –يعني تريد أن تلبس وتخرج...–، ستكون مشغولة بالناس: تريد أن تسبق هذا في الحفظ، تريد أن تكون أحسن من هذا في العِلم، تريد أن ترائي هذا بحفظك... إلى آخره! يعني نحن عندنا أسْر للمشاعر، تحتاج ماذا؟

[1] التكاثر : ١-٢

أحتاج ثلاثة أمور حتى تحيا كلمات القرآن في قلبي:

١. حرِّر مشاعرك من اسرها، قلّل مشاعرك

ماذا سأفعل حتى أحرِّر مشاعري من أسرِها؟ هذا جهد يخصُّك، قلِّل أهمية الأشياء، عظِّم القرآن في قلبك، انظر ماذا يقول الله عزّ وجلّ حتى تشغل قلبك ومشاعرك بالقرآن، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1]، الذي تجمعه الآن شاغِل لمشاعرك! ما المطلوب منك؟ تقول هذا الذي شغل مشاعري لا يساوي شيئاً!. أنا سأفرح وستكون مشاعري مجموعة على أي شيء؟ وتطيب نفسي على أي شيء؟ على القرآن وفهمه!.

الفرح بالقرآن عبادة، قُربة إلى الله، نتعبَّد الله بكوننا نفرح بالقرآن، كيف نفرح به؟

نفرح به **فاهمين**، نفرح به **عالمين**، نفرح به **عاملين**، لا نفرح به حافظين والنَّاس يُكرِّموننا ويعطوننا جوائز، ويدخل علينا الرياء ويدخل علينا السمعة وتدخل علينا البلاءات العظيمة، ليس هذا الفرح، الفرح بالقرآن عبادة تستلزم الإخلاص! ستفرح به علماً وفهماً وعملاً.

أول الأمر: حرر مشاعرك من الانشغال، فكلما قلّ الاهتمام بالدنيا، زاد اهتمامك بالقرآن!

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ لازم تصير عندك هذه المشاعر. أن ترى عنايتك بالقرآن والانكباب عليه وخروجك لتدرس أسبوع كامل، تخرج بفهم آية واحدة، تشعر بماذا؟ بالفرح الشديد، كأنَّ ضوء الشمس أشرق في قلبك؛ لأنَّ هذا من فضل الله وودّه على خلقه، فمن تودّده على الخلق أن يجعل فرحك بالقرآن عبادة، اشغل مشاعرك بالقرآن، افرح به، احزن على نفسك إذا مرَّ عليك أسبوع ما فهمت، خاف أن تحُرم من لذة القرآن، مشاعر الحب والخوف والرجاء اشغلها كلها حول القرآن، والمركب الذي يوصلك إلى ربك هو مشاعرك.

ركائز العبودية هي الحب والخوف والرجاء، يعني ركائز العبودية التي تبنى عليها العبودية عبارة عن مشاعر، فالمشاعر ماخلقها الله في وجداننا إلا من أجل أن يَسهُل تعبُّده، حتى تُصبِح العبادة سهلة؛ لأن هذا الحب سيحملك حملاً، هذا الحب يجلب الشوق، والشوق سيحمل صاحبه، والخوف يجلب الهرب، والهرب سيبعد صاحبه، فتصور إلى أي درجة الأمر يسير، فقط لو ما شغلت مشاعرك بغير الله!.

٢. تعبَّد الله بالتدبُّر

قلِّب القرآن! كما أنَّكم تقلِّبون حروفه، قلِّب معانيه، اجتهد، ابذل. هذه الكلمة وراءها برنامج كامل، يحتاج منك جهد وتدريب من أجل أن تصل إليه، ليس التدبُّر اقتراح، لا، التدبُّر له منهجه، وله علاقة بكتب أهل العلم، وله علاقة بالقرآن، وله طريق ومنهج واضح.

[1] يونس : ٥٨

٣. تحتاج ان تتفكر!

التفكُّر : معناه أنَّك تُحرِّر ما تعلَّمته مؤثِّراً على مشاعرك!

لديك معلومات عن الله أنَّه رحمن، أنَّه رحيم، أنَّه ودود، أنَّه غفور، أنَّه قريب، أنَّه مجيب، هذه المعلومات أنت تحفظها في زاوية المعلومات، وتدبَّرتها وفهمتها، مثلا **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[١]، عرفت هذه المعلومة، بعد ذلك عِشت في الحياة مواقف رأيت فيها آثار رِزق الله، ماذا تحتاج؟ تُقلِّب ما تعلَّمته على ما عِشته، تُقلِّب هذا على هذا، هذا هو التفكُّر، أنا أعرف عن الله أنه رزَّاق، وها أنا أَمُرُّ بضائقة، ثم من حيث لا أحتسب فُرِّج عليّ! هذا التفريج إنَّما هو من آثار اسمه الرزَّاق!.

كما اتفقنا، هذا اللقاء مجرد إشارات فقط، فحتى أحيي الكلمات وأجعلها في داخلي لها معاني حية؛ لازم أحرر مشاعري، لازم أعبد الله بالتدبر، لازم أعبد الله بالتفكر، ستصل بذلك إلى أن تكون من **أولي الألباب**.

ماذا يعني ألباب؟ كلمة (لُبْ) أين هو لُبُّك؟ قلبك الذي هو مكان عقلك.

- في **دماغكم عقل الإدراك** الذي يشترك فيه الإنسان والحيوان؛ يسمع، يترجم. يرى، يترجم.
- في **القلب عقل الرشد**.

اتفقنا مرارًا وتكرارًا أنَّ عقل الإدراك يشترك فيه الإنسان مع الحيوان، يُدرك أنَّه عطشان يشرب، من الذي يدرك قلبك أم دماغك؟ دماغك.

الحيوان يُدرك أنَّه عطشان ويشرب، يُدرك أنَّه جائع يأكل، يُدرك أنَّه في خطر، يُدرك أنَّ هذا زمن التكاثر، بل الله عزَّ وجلَّ يقول عن النحل: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾[٢] {وأوحى ربك} يعني: ألهمناها! ماذا تفعل؟ اتخذت بيوتاً، هؤلاء النَّحل يبنون بيوتهم سداسية الأضلاع، لأنَّ هذا الشَّكل الوحيد الذي يأخذ أكبر مساحة في التخزين، لا يذهب في الزوايا أيُّ شيء، من علمها؟ علَّمها الله، هذا اسمه عقل الإدراك!

عقل الإدراك يشترك فيه الإنسان مع الحيوان، وقد يفوق الحيوان الإنسان في الإدراك في ناس – نسأل الله أن يحفظنا ويحفظ أولاد المسلمين – عندما تأتي الزلازل و البراكين أو تأتي السيول؛ الحيوانات تتأثَّر وتشعر وتهرب والإنسان لا يشعر، هذا ما معناه؟ أنَّ عقل إدراكه أحسن من عقل إدراكك.

عقل الإدراك فلا يتميَّز به الإنسان، عقل الإدراك هو الذي تأتي منه كل الاختراعات، وهو نفسه – للناس الذين يدرسون في العلوم – يقولون: والحيوان يتكيَّف مع بيئته، يتكيف هذا من عقل الإدراك.

---

[١] الجمعة : ١١

[٢] النحل : ٦٨

هذا ما تُمدح عليه أبداً؛ لأنَّ كل عقل الإدراك وراءه الإلهام، الله يُلهم هذا أن يرى كذا ويُلهم هذا أن يخترع كذا.

عقل الرشد هو الذي يتكون بالجهد، ماهو عقل الرشد؟ هو معرفتك لحقائق المسائل.

اللّب: أن تكون صاحب لب يرشدك.

عقل الرشد كيف سيتكوَّن؟ من هذا الثلاثي الذي اتفقنا عليه:

١. حرِّر مشاعرك.

٢. تدبَّر بخُطَّة (لا تتدبَّر فتُقلِّب الأمر على ما ترى).

٣. وأيضاً تفكَّر.

سيتكوَّن لديك عقل الرشد الذي يعرف الحقائق، عقل الرُّشد أرشد إليه النَّبي صلى الله عليه وسلم، كُلَّما تعلَّمت؛ تكوَّن عندك عقل الرشد.

مثال:

- النبي صلى الله عليه وسلم لما سأل عائشة رضي الله عنها وأرضاها: سألها عن شاة ذُبحت : ((ما بقي منها ؟ قالت: ما بقي منها إلا كُتفها، قال: بقِي كلُّها غيرَ كِتفِها))[١] ها هو عقل الرُّشد، ماذا يفعل بك؟ يجعلك ترى حقائق المسائل.
- قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((حُجِبت النَّارُ بالشَّهواتِ ، وحُجِبت الجَنَّةُ بالمكارِهِ))[٢] عقل الرُّشد يجعلك ترى الشَّهوة ناراً، ترى الشهوة على حقيقتها (وراءها النار)، عقل الرُّشد يجعلك ترى المكاره وراءها الجنَّة، وراءها موازين تَثقُل.

إذن عقل الرُّشد يتكون بهذه الصورة: أن يكون فؤادك حيًّا بالقرآن!

هذي مجموعة أسئلة، نقول فيها:

لماذا بعض النَّاس يسمع آيات القرآن والحديث النبوي، فتسري فيه سريان الكهرباء من شِدَّة تأثُّره وبعض النَّاس لا يُحرِّك في قلبه ساكنا؟

هذا السؤال عليه مدار عملية التربية. نحن الآن نحتاج إلى ما يُسمى **بالحفظ التربوي للقرآن والسنة**، أثر هذا الحفظ مصطلح يُستعمل الآن وقد استعملته العرب من قديم، وهو مصطلح: **صناعة الإنسان**.

[١] صحيح الترغيب ٨٥٩

[٢] "صحيح البخاري" (كتاب الرقاق، باب حُجبت النار بالشهوات، ٦٤٨٧).

الله عزَّ وجلَّ في كتابه قال لموسى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[1]، ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾[2] ، وهذا اللفظ موجود في اللغة، تقول العرب: صَنَّع جاريته، أي: ربَّاها تربية بذل فيها الجهد، التَّصنيع هو جهد المتقِن! هل تصلح كلمة التصنيع على الإنسان؟ نعم، التصنيع يصلح على الإنسان، يُعبِّر العرب بكلمة الصناعة على التربية التي بُنيت على الإتقان.

بماذا سنُصنِّع نفسنا ونُصنِّع النَّاس والجيل؟

بالقرآن! ماذا سنفعل؟ نأخذ كلماته، نفهم معانيها، نعيشها، نُربِّي نفسنا عليها، ونُربِّي الجيل.

إذن لا يُنظَر للقرآن على أنَّه حروف، ولا على أنَّه ألفاظ، إنَّما يُنظر له على أنَّه معانٍ تُسبِّب تشكيل الإنسان.

لو أردت أن أُتقِن تربية نفسي من القرآن، ماذا سأفعل؟

أهم شيء تتعلمه وتربي نفسك به من القرآن هو (العلم عن الله).

القرآن من أوله إلى آخره نزل من أجل أن تعرف الله، فأنت تسمع في كتاب الله أسماؤه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى. من الهجر للقرآن —حتى لو كنت حافظاً، حتى لو كان القرآن لا ينزل من بين يديك— أن تعرف حروفه وتقيمها ولا تعرف من القرآن الرحمن!.

كيف؟

كيف وأنت تحفظ سورة مريم التي تكرَّر فيها اسم (الرحمن) ستة عشرة مرة؟

كيف وأنت تحفظ الشعراء التي كرَّر الله فيها الخبر عن اسمه (العزيز الرحيم) تسع مرات؟

يحكي لك قصص الأنبياء ثم يقول لك: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3].

إذن مِن هجر القرآن أن تقيم حروفه ولا تعرف من هو الرحمن، لابدَّ أن تعرف الله، ألست ترى أن المصحف من أوله لآخره خبر عن الله؟ انظري للفاتحة وسورة الناس، كل الأخبار عن الله، ألست أنت الذي تحفظ أنَّ آية الكرسي أعظم آية في القرآن؟ وتحفظ أنَّ سورة الإخلاص ثلثه؟ لماذا هذا الفضل لهذه السور وهذه الآيات؟ لما فيها من الكلام عن الله. المعنى أن تعرف أنت لماذا نزل القرآن؟ نزل لتحيا به، لتحيا بمعانيه.

أهم المعاني التي تربي بها نفسك: معرفتك لله!

سترى آثار هذه المعرفة في سلوكك، المعرفة لا أن تتحفَّظ الأسماء وأنت لا تفهم معانيها.

انظر إلى ودّه ومحبته لخلقه في القرآن.

انظر إلى آثار مُلكِه وتصريفه له وتدبيره سبحانه وتعالى له في القرآن.

---

[1] طه : ٣٩

[2] طه : ٤١

[3] الشعراء : ٦٧-٦٨

انظر لقيُّوميَّته على كل شيء في القرآن.

انظر كيف ضرب أمثالاً لكمال صفاته سبحانه وتعالى في القرآن.

كل هذا جهد يجب أن تبذله، وهذا **الكلام يخصُّ بالذات الأماكن التي يُدرَّس فيها القرآن دوناً عن غيرها،** كل النَّاس يجب أن يتعلَّموا عن الله من القرآن، لكن أهل القرآن أخص ناس في هذه المسؤولية، سترى هجراً للقرآن أن تترك معرفة الرحمن منه، يجب أن تعرف الله عزّ وجلّ من القرآن، تبذل غاية جهدك في معرفته!

وها هو يحكي لك قصص الأنبياء لتعرف كيف يعامل أولياءه.

ويحكي لك قصص من كفر لتعرف كيف يعامل أعدائه وهكذا.

فإذا كنت من أوليائه سيعاملك هذه المعاملة، وإذا كنت من أعدائه سيعاملك هذه المعاملة، أتدري كيف يعامل الله خلقه؟

ماذا ستقول لما تلقاه بعد أن عرَّفك بنفسه، وجعل هذا القرآن يسيراً للذِّكر، وأبرز لك صفاته سبحانه وتعالى، ماذا ستقول له؟!

لماذا لم تتعرف عليه؟!

لماذا انشغل عقلك بمعرفة كلّ أحد إلا إيَّاه سبحانه وتعالى؟!

المقصد: أننا لا بد أن نسير ثلاث خطوات: نحرر مشاعرنا، نتدبر القرآن، ونتفكر، وهذه الثلاثة مجتمعة، رأسها وعمودها: وقت ما تتدبر وتتفكر وتترك أن ينشغل قلبك وينشغل قلبك بما يقابله.. كل هذا يدور حول أمر واحد وهو رأس المسألة (معرفة الله).

هذا ما تيسّر ذكره في هذا اللقاء، نسأل الله عزَّ و جلَّ أن يجعله لقاءاً مُباركاً، وأسأله سبحانه أن يجعله فاتحة لمزيد.